طبيعة الرؤية في العمل الروائي لا يتم إلا من خلال اكتشاف البنية الدالة في العمل الروائي المدروس. والناقد محمد كامل الخطيب يتحدث عمّا يقارب مفهوم البنية الدالة دون أن يستخدمه، عندما يرى بأن التفسير الذي تقدمه الرواية للواقع ـ وهو تفسير الكاتب نفسه ـ لا يتحدد بجُملةٍ أو مشهد روائي، بل عبر شبكة الحوادث والعلاقات، ودلالةِ هذا النسيج العام (ص: 17).

وهناك أيضاً إشاراتٌ أخرى تبين التّأثُّر بالمنهج الغولدماني وأصوله في الفلسفة الماركسية، من ذلك حديثه عن كون «الامتلاك المعرفي للواقع، هو المستوى الأعمق والأشمل لامتلاك الراهن». (ص: 18)، وهي فكرة قريبةٌ من مفهومي الوعي الممكن والرؤية للعالم عند غولدمان، وحديثه عن تلاحم الشكل مع المضمون (ص: 19).

إنّ مفهوم الرؤية يظل على العموم في حاجة إلى توضيح، وذلك في المدخل العام والقسم الثاني من الكتاب، وهما معاً يشكلان التمهيد النظري الكامل لمجمل العمل، (على الأقل في نظر الناقد). ويبدو من المهم أن نشير إلى أن مفهوم الرؤية جاء دائماً هكذا مفرداً دون إضافة، ولم يستخدم الناقدُ صيغة «رؤية العالم» إلا مرة واحدة خلال التحليل مع الإشارة إلى أن الرؤية أسندت إلى العمل الروائي وليس إلى الروائي أو المبدع كما وجدنا عند أصحاب المنهج البنيوي التكويني، ذلك أن محمد كامل الخطيب تحدث عمّا سماه «رؤية العالم الروائي»[114]، وهي في الواقع تبدو عند التأمل صيغة مُخالِفَة لأن كلمة «العالم» فيها لا تمتلك الدلالة نفسها التي نجدها في المنهج البنيوي التكويني لأنها محصورة في الدلالة على «عالم الرواية» وليس على «العالم» بما فيه المجتمع والطبيعة، والكون عامة.

ويمكن القول، إذا نحن اقتصرنا على المدخل العام ومجموع الجانب التطبيقي، بأن مفهوم الرؤية كما استخدمه الناقد لا يُكَوِّنُ أداة نظرية متماسكة يمكن بواسطتها إنجاز تحليل علمي ـ أو على الأقل على درجة مقبولة من العلمية ـ للأعمال الروائية المدروسة، قصد تحقيق هدف الدراسة، وهو رصد علاقة المثقفين بواقعهم من خلال إلنتاج الروائي.

ولقد أشرنا إلى أن الخاتمة التي كتبها الناقد، هي التي يتجسد فيها الجهاز النظري الذي يمثل درجة قصوى من الانسجام بالقياس إلى العمل النقدي نفسه. ومع أننا نرى أنفسنا ملزمين بتتبع الناقد في هذه الخاتمة لمعرفة حقيقة ذلك الانسجام، **إلا أننا نشير بوضوح إلى أن تأثير ذلك القسم النظري الذي جاء في الخاتمة يكاد يكون منعدماً في مجموع الدراسة التي أنجزها الناقد سلفاً**، كما نشير في الوقت نفسه إلى أن لفظ «خاتمة»

---

(114) الرواية والواقع، ص 79.